صاحِبَةُ السُّمُوّ

صاحِبَةُ السُّموّ

عناية

شيماء عويسي

إهداء..

إلـى الأرواحِ الـزَّرقـاء..

صاحِبَـةِ الـسُّمُـوّ..

لـخَّصَ الألَـمُ كُـلَّ خبـراتـي فـي الـحيـاة, ها أنـا ذي؛
مُـبَـلّـلـة؛ زرقـاء, مُـهَـشَّمـة؛شـارَفـتُ علـى الـمَـوت!

- صاحبـةُ الـسُّمُـوّ-

-1-

مُبَلَّلَة

في يَومٍ ما, اِقتَرَبتُ مِنَ الحَافَّةِ كَثيرًا؛ وبِطَبعِ فُضولي, تَجاهَلتُ الخطَرَ المُحدِق الذي حَذَّرَني مِنه الجميع, رأيتُ في فوهةِ البُركانِ الكثيرَ مِنَ الفَتَيات, كُنَّ يَصرُخنَ وهنَّ يَحتَرِقن؛ وظهرَت على وجهِ النَّارِ عبارةٌ طويلةٌ لَفَحَتني, كانت بِخطٍّ عَريض:

" الفُرصَةُ شارَفَت على الإنتِهاء"

عُدْتُ أَدراجي مَذعورة, أصابَني الرُّعبُ والهَلَعُ لِأَيام؛ لكنَّني فهِمت.

لديَّ فرصةٌ واحدة, وأنا الوحيدةُ القادِرَةُ على جَعلِ نَفسي مِن صاحِباتِ السُّمُوّ؛ حينَ أَدرَكتُ ذلكَ وجدتُ نَفسي مُبَلَّلَةً بِالتَّرَدُّد, والخوف؛ وانعِدامِ الثِّقةِ في الآخَرين, كانَت هناكَ يَدٌ خَفيَّةٌ تُمطِرُني بِكلِّ تلكَ المشاعِرِ حتى لا يَأتِيَ اليومُ الذي أَستَغني فيهِ عَن عِنايَتِها, أَصَرَّت على إبقائِي طَيرًا صغيرًا غارِقًا في الحيرة؛ ولكنَّ فُرصَتي سَتَنتَهي لَو لم أغيِّرْ ثِيابي!

أكرهُ أن أكونَ فتاةً آليّة, لَطالَما أَرَدتُ أن أكونَ مِثلَ صاحِبَةِ السُّموّ, فتاةٌ صَنَعتْها خَيالاَتي عنّي؛ لَيسَت كَأيِّ شخصٍ مِن هذا العالَم, غيَّرتُ مَلابِسي قبلَ أن يُصيبَني رُشاحُ الآلِيَّات؛ شعرتُ أنَّ غشاوةً أُزيحَت عَن ناظِرَيّ, واكتَشَفتُ أنَّ مَسيرَةَ حَياتي لَم تكنْ يَومًا مِثلَ آفاقِ اليَدِ الخفيَّةِ التي كانت تَسكُبُ المِياهَ على رأسي, علِمتُ أنَّني لَم أولَد لِأَتَزَوَّجَ وأُنجِبَ أطفالاً أزوّجُهُم لِيُنجِبوا أطفالاً لِيُزَوِّجوهم ويُنجِبوا أطفالا, لم أولَد لِأَصِلَ تلكَ الحلقة, دَوري أكبَرُ بِكثير!

وُلِدتُ في اليَومِ الرَّابِعِ والعشرينَ مِن الشَّهرِ التَّاسِع, أَضَعُ يَدي على قَلبي وأقولُ مِلءَ فمي:

1- سَأُطمِسُ التَّرَدُّدَ الذي ورثتُهُ عن الآخَرين, لن أَسمَحَ لِأَحَدٍ بِأَنْ يَئِدَني بَعدَ الآن, العالَمُ مَليءٌ بِالتَّجارِبِ التي لَم أَخُضْها؛ الفُرصَةُ شارَفَت على الانتِهاء, وهيَ فُرصَتي؛ أنا الوحيدَةُ التي سَتُسأَلُ عنها.

2- لا شيءَ يَستَحِقُّ الخوف, كلُّ الأشياءِ الجميلَةِ لَم تَكنْ لِتَأتِيَني لَولاَ إصراري عليها؛ ولم أكنْ لِأُصِرَّ عليها لولاَ أن وضعتُ الخَوفَ مِنَ المُواجَهَةِ جانِبًا.

3- نحنُ نثقُ بالبَشَرِ لِأَنَّنا لا نملِكُ شيئًا آخَرَ لِنَثِقَ بِه, هناكَ الكثيرُ مِنَ الأشخاصِ الذينَ يَستَحِقُّونَ ثِقَتَنا.. وحُبَّنا!

4- إذا كنتُ أُريدُ أن أكونَ مُستَطيلاً, سَأَكونُ مُستَطيلاً حتى لو أَصَرَّ العالمُ على أنَّ الأَفضَلَ لي وللجميعِ هوَ أن أكونَ دائِرة.

5- لستُ أهتمُّ لِعاقِبَةِ قَراري, المهمُّ أَلاَّ يَتَّخِذَهُ أحدٌ بَدَلاً عنّي.

6- أنا فَخورَةٌ بِكلِّ كُسوري, أخطائِي؛ نَواقِصي, وتجاربي الفاشِلة؛ عليَّ أن أكونَ ممتَنَّةً لي لِأَنَّني مِثالِيَّةٌ جدًّا في نَظَرِ نَفسي, هذا ما يَنبَغي أن تَكونَ عليهِ صاحِبَةُ السُّمُوّ.

7- المَعنى مِن اعترافي بِأَنَّ رَأيي خاطِئٌ لَيسَ أنَّ رَأيَ الآخَرينَ صَحيح, بل أَنَّني أبحَثُ عَن رَأيٍ آخر أقلَّ خَطأً وأكثَرَ صِحَّةً لِأَتَبَنَّاه, بِشَرطِ ألاَّ يَكونَ لِأَحَدٍ غَيري.

8- أَدرَكتُ أَنَّني لَستُ مُضطَرَّةً لِأُزَيِّفَ نَفسي حتى أُعجِبَ أَحدًا؛ أنا هكذا جميلةٌ بِكلِّ تَفاصيلي؛ حتى في أوقاتِ ضعفي, أنا رائِعةٌ جدًا!

9- لا أَحدَ بِحاجَةٍ لِرؤيَةِ دُموعي, أنا مَن أَقرَرُ مَن يُمكِنُهُ رُؤيَتُها.

10- أَيقَنتُ أنَّ اللهَ إذا قَضى أَمرًا فَإنَّه سَيأتيني, تعلَّمتُ ألاَّ أقنَط؛ وأن أَدَعَ الخَلقَ لِلخالِق.

11- بعدَ عامٍ مِنَ الأنهيتونيا, تذكَّرت؛ أن تَفقِدَ الشَّغَفَ يَعني أن تَفقِدَ الحَياة, أن تَفقِدَ الحياةَ يَعني أن تُقيمَ مَأْتَمًا, لذلكَ بكيتُ على روحي؛ وحدي, لَم يَرَنِ أحد.

12- تُبَلِّلُ الكتابَةُ روحي بِالحبّ, تهطِلُ أَمطارُهُ على قَلبي فَيَخِفُّ الألم؛ الكِتابَةُ مَلاذ, وصديقٌ مُقيمٌ بِسُوَيداءِ الرُّوح.

13- لَم أَعُدْ قادِرَةً على التَّمثيلِ أكثَر, يَبدو أنَّ وقتَ "غَرَبَلَةِ" البَشرِ قَد حان؛ إمَّا أن تُعجِبَهم الحقيقَةُ فَيَبقَوا, وإمَّا أن يكرَهوها فَيُغادِروا؛ لم أَعُدْ أهتمّ.

14- سَأَكونُ سعيدَةً لَو حَظيتُ بِيَومٍ رائِعٍ مَعَ صَدِيقَتَيّ, لو اشتَرى لي أَحَدُهُم طَعامًا أُحِبُّه, لو زُرتُ مكتَبَةً أو مَتجَرًا ما, واشتَرَيتُ كُلَّ ما أريدُه؛ سَأَكونُ سَعيدَةً لَو شَعَرْتُ بِبَعضِ الاستِقلالِيَّة!

15- لا أَحَدَ يَعرِفُ معنى أن تَضحَكَ مُتجاهِلاً خَرابَ روحِكَ أَكثَرَ مِنّي.

16- كانَت لَديَّ أحلام, داسَتها الظُّروف؛ والآنَ أصبَحَت لَدَيَّ أحلامٌ وإرادة!

17- سَأُوَدِّعُ الجميعَ كُلَّ يَومٍ مِنَ الآنَ فَصاعِدًا؛ آمُلُ ألاَّ تَحزَن صَديقَتايَ على وفاتي, أشعرُ أنَّ أجَلي سَيَسبِق.

18- لَن أُسامِحَ اليَدَ التي بَلَّلَتني بالخوفِ والتَّرَدُّد, وكانَت سَبَبًا في فقدانِ فُرصَتي.

-2-

زرقاء

صَرَفتُ عُملَةً باهِظَةً مِن عمري أَخافُ مِن شيءٍ مَجهول, يَتراءى لي وحشٌ هائِلُ الحجمِ أخبَروني أنَّه مخيفٌ جدًّا؛ وأنَّ اسمَهُ "المستَقبَل", لذلك بَقيتُ زرقاءَ لِمدَّةِ ثَمانيَةَ عَشَرَ عامًا؛ ولا أحدَ اكتَرَث.. كانَ أهمُّ ما يَهمُّ الجميع؛ هو أَلاَّ أُلحِقَ العار بِهذا العالَم, أَلاَّ أتكلَّم؛ ألاَّ أَتمرَّد, ألاَّ أعرِفَ الحقيقة؛ خَلَوتُ بِنَفسي في مكانٍ بعيدٍ وكتَبتُ نصائِحَ لي, رَمَيتُها هناكَ على أملِ أن تَجِدَها فتاةٌ مِثلي فَلاَ تَدفَعَ سِنينَها في دواءٍ يُسَبِّبُ العمى؛ ويجعَلُها مِنَ الغَوغاء:

1- أنْ تَبلُغي سِنَّ الرُّشدِ لا يَعني أنَّكِ في خطرٍ ويجبُ أن تتزوَّجي حالاً وإلاَّ اندَرَجتِ ضِمنَ قائِمَةِ العوانِس, خُذي وَقتَكِ في اختِيارِ الشَّريكِ المُناسِبِ لك؛ ولا تَقبَلي بِأَقَلَّ مِنَ الشَّريكِ المناسب.

2- لا تَتَزوَّجي لِأَنَّ ظروفَكِ قاهِرَةٌ ووالِدُكِ فَظّ, لا تتزوَّجي "هَرَبًا" مِن مَشاكِلِ عائِلِيَّة؛ لا تتزوَّجي قبلَ أن تَكوني مُدرِكَةً تمامًا أنَّكِ سَتَعيشينَ ما تبقَّى مِن حياتِكِ مع شريكِكِ, وأنَّكِ لستِ في لعبةٍ تدخُلينَها حينَ تحدُثُ مشاكِلُ في حياتِك, وتخرُجينَ منها حينَ تريدين؛ الأمرُ جِدِّيّ؛ الزَّواجُ حياة, والحَياةُ إمَّا نعيمٌ.. أو جَحيم.

3- الحُبُّ شائِكٌ أحيانًا, ما يَنبعُ مِنَ العقلِ وحدَهُ لَيسَ صادِقًا, وما ينبعُ مِنَ القلبِ وحدَهُ ليسَ صَريحًا, تعلَّمي أن تَستَخيري؛ تعلَّمي جِوارَ الله.

4- لا تَسمَحي لِأحدٍ أن يُقَرِّرَ عنكِ, أنتِ مَن سَتَعيشُ تلكَ الحياةَ بَعدَ ذاكَ القَرار؛ أنتِ مَن سَتَبني ذاكَ العشّ؛ فاختاري بِنَفسِكِ مع مَن تُريدينَ بِناءَه.

5- العلاقاتُ المُحَرَّمَةُ ممنوعة؛ اِعلَمي أنَّ اللهَ يُحَبِّبُ لكِ الحبَّ في الحلال, لا حُبَّ في غيرِه.

6- لستِ مُضطَرَّةً لِتُثبِتي أنَّكِ رائِعة؛ مَن يحبُّكِ حقًّا سَيَراكِ مِثاليَّةً دائِمًا.

7- إذا تَرَكتِ جَسَدَكِ عُرضَةً لِلنَّظَراتِ العابِرة, سَتُصبِحينَ بِلاَ قيمة؛ تمامًا كَحلوى عارِية, يجتَمِعُ حولَها الذُّباب؛ لكنْ لا أحدَ يفكِّرُ بِجِدِّيَّةٍ في أكلِها.

8- صاحِبَةَ السُّمُوّ؛ اِقرَئي الكثيرَ مِنَ الكتب, تعلَّمي الكثيرَ مِنَ الأَشياء؛ ولا تَسمَحي لِأَحدٍ أن يَنتَقِصَ مِن قَدْرِكِ.

9- لستِ بِحاجةٍ لحِرمانِ نفسِكِ مِنَ الطَّعامِ وممارَسةِ حِميَةٍ غِذائِيَّةٍ قاسِيَةٍ لِيَبدو جسدُكِ مِثالِيًّا؛ أنتِ رائِعةٌ في نَظَرِ مَن يُحبُّك.

10- الوقتُ المُناسِبُ للزواجِ موجودٌ دائِمًا؛ بِمجرَّدِ أن تَجِدي الشَّخصَ المُناسِب, يُصبِحُ الوقتُ مُناسِبًا.

11- نحن جميعًا بِحاجةٍ لِذاكَ الشَّخصِ الذي نَتَّكِئُ على كتفِه ونقول: لم أكن لِأعلَم ماذا يُمكِنُني أن أفعل لولا وجودُك؛ حاوِلي أن تَكوني ذلكَ الشَّخصَ بالنِّسبَةِ لِلآخرين.

12- تلقَّي الحبّ؛ وقدِّمي الحب, امتِلاكُ صديقةٍ أمرٌ ممتعٌ حقًا؛ مِنَ الجيِّدِ أن تكونَ في حياتِكِ فتاةٌ تجعلُ المنزلَ حَظيرَةً حينَ تَزورُكِ.

13- سَتَجِدينَ دومًا حُضنًا تَبكِينَ عليه؛ أم, أخت, صديقة؛ زوج؛ وربما كتاب..

14- لا تُنجِبي أطفالاً قبلَ أن تُدرِكي تمامًا أنَّهم أمانةٌ سَتُحاسَبينَ عليها؛ لا تُنجِبي أطفالاً في بيتٍ فوقَهُ غمامَةٌ مِنَ الكآبة, عليكِ أن تكوني مُستَقِرَّةً أولاً؛ نفسيًّا, وعاطِفِيًّا,

وحتى أخلاقِيًّا وعلميًّا, إنجابُ أفرادٍ جُدُدٍ مسؤولِيَّةٌ عظيمة, أعِدِّي نفسَكِ جيّدًا قبلَ الخَوضِ في غِمارِها.

15- كوني حَريصَةً على صحَّتِكِ النَّفسِيَّةِ تمامًا كما تحرِصينَ على صحَّتِكِ البَدَنِيَّة, تعافَي مِن كلِّ صَدَماتِ الطُّفولَةِ قبلَ أن تخوضي تجربةَ الزَّواج؛ لأنَّ عواقِبَ الزواجِ الفاشِلِ وخيمة.

16- لا تَتَنازَلي عَن مَبادِئِكِ لِيُعجَبَ بكِ شخصٌ ما, لا تطمِسي شخصِيَّتَكِ, لا تقمَعي نفسَكِ؛ الورودُ تحتاجُ مياهًا حتى تبقى مُزهِرة, وشمسًا لِتَبتَسِم.

17- لا تُناقِشي أحدًا وأنتِ غاضِبة.

18- اترُكي لِنفسِكِ مجالاً خاصًّا؛ اخرُجي مع صديقةٍ مُفضَّلة, افعَلي أشياءَ غيرَ منطقيَّة؛ اِشتَرِ أَغراضًا تَجعَلُكِ سعيدة؛ وطعامًا تُحِبِّينَه.

-3-

مُهَشَّمة

كنتُ أَخافُ التَّجاربَ الفاشِلة, وظننتُ أنَّ الاعتِمادَ على خبرةِ شخصٍ مجرِّبٍ سَتَكونُ حصنًا لي؛ لكنَّني كنتُ مُخطِئَة..

كنتُ مُخطِئَةً حينَ اعتقَدتُ أنَّ الطريقَ الآمِنَ أضمَنُ لِلنَّجاح..

كنتُ مُخطِئَةً حينَ اعتقَدتُ أنَّ تأخُّرَ النَّتيجَةِ يعني فَشَلَ التجربة, لم أَكنْ صَبورَةً بِما يكفي..

كنتُ مُخطِئَةً حين اعتقَدتُ أنَّني يجبُ أن أحظى بِحياةٍ تُشبِهُ حياةَ الجميع؛ المُكافآتُ لا تأتي إلاَّ على الصِّراعات..

كنتُ مُخطِئَةً حينَ راهَنتُ على بَقاءِ البَعضِ إلى الأبد؛ لستُ ممَّن يمكِنُهُم كَسبُ الرِّهانِ دائِما..

لكنَّني كسبْتُ الشَّوطَ أيضًا؛ ثمانِيَةَ عَشرَةَ "عنايةً" جديدة:

1- مهما كانت حياتي مختلفةً فَهِيَ دائِمًا الأفضَلُ لي, لا يمكِنُني أن أَتَبادَلَها مع أيِّ شخصٍ آخر؛ لا أحدَ غَيري سَيَحتَمِلُ ضُغوطي, وأنا لستُ مُستعدَّةً لِتحمُّلِ ضغوطاتِ أشخاصٍ آخرين.

2- الأمانُ خَطِرٌ لأنَّهُ يَجرِفُكَ إلى الغَفلة, أنتَ تظنُّ أنَّ حياتَكَ ناجِحَةٌ لِأنَّها آمِنة؛ وهو يقَضِمُ مِن عُمرِكَ حتى تنتَهِيَ الفُرصَة.

3- لَن أسأَلَ مُجرِّبًا ولا طَبيبًا, سَأُجرِّبُ وحدي كُلَّ الأدويَةِ حتى أُصبِحَ طبيبًا مُجرِّبًا.

4- حالاتُ فُقدانِ الشَّغفِ التي تنتابُنا لا تَعني أنَّنا تَخَلَّينا عن أحلامِنا؛ تتأخَّر, لكنَّها حتمًا سَتَأتي.

5- نحتَفِظُ بِمَن يُمكِنُنا الاحتِفاظُ بِهم؛ لِصِدقِهِم, وحُبِّهِم؛ وإخلاصِهِم, ومكانَتِهِم عندَنا؛ يمكِنُنا مع ذلكَ أن نَلتَقِيَ بِبَعضِ العابِرين؛ وَلْيَكونوا "عابِرينَ" فقط, لا زيادة.

6- المُرورُ بِفَترَةِ اكتِئابٍ لا يَعني أنَّ حياتَكَ كَئيبة؛ المرورُ بِفترةِ سعادةٍ لا يعني أنَّ حياتَكَ سعيدة, المرورُ بِفترةِ حزنٍ لا يعني أنَّ حياتَك حزينة؛ المرورُ بِفترةِ ضعفٍ لا يعني أنَّكَ ضعيف, الحياةُ مزيجٌ رائِعٌ مِن كلِّ ما سَبَق؛ الفرقُ في كلِّ الحالاتِ هو طريقَةُ نَظَرِكَ للأُمور.

7- أن تفتَقِرَ إلى المعرِفَةِ أَمرٌ مُشينٌ لكَ أكثَرَ مِن افتِقارِكَ إلى المال.

8- هل تدركُ معنى أنَّكَ تمتَلِكُ فرصةً واحدة؟ ذاكَ يعني أنَّكَ لن تتمكَّنَ بعدَ انتِهائِها مِن قَولِ الكلِماتِ التي لا زالتْ عالِقَةً بِداخِلِك؛ ولا مِنَ القِيامِ بالأشياءِ التي لَطالَما أردتَ القِيامَ بها.

9- كانتْ تجلِسُ أمامَ الملك؛ صحيحٌ أنَّها ملكةٌ أمامَ الآخَرين, يُنادِيها الجميعُ بِـ "صاحبةِ السُّموّ", إلاَّ أنَّها حينَ تكونُ معهُ تنزعُ عنها كلَّ الرَّسميَّات؛ تصبحُ فتاةً مَحضَة, خامًا؛ مملوءةً بِالمشاعر, تشتاقُ للحبّ.

10- أخبَرَها الجميعُ أنَّ صِفاتها لا تنطَبِقُ على الفتاةِ المِثاليّة؛ "لا تضحكي هكذا", "لا تتكلَّمي هكذا", "لا تأكلي هكذا"؛ "لا تَمشِ هكذا", "اِعتَنِ بِجمالِك"؛ وضعَت ساقًا

على ساقٍ خلالَ تلكَ الجَمهَرَةِ مِن نساءِ العائِلةِ وقالتْ: "إذا كانَ الأمرُ لا يُغضِبُ ربّي, لن أهتمَّ إذا أغضَبَ البَشَر."

11- المرآةُ انكَسَرَت؛ جرحَت إصبَعَها فشعَرَت بِروحِها أيضًا تُجرَح؛ الجميعُ أَرادوا تَحطيمَها, حتى مرآتُها لم تعفُ عنها!

12- النَّومُ يُطارِدُني؛ وأنا أُطارِدُ النَّوم, والحياةُ تقول: لا شيءَ يَقتَصِرُ على شيء؛ إذا أردتِ أن تَعيشي بِطريقةٍ صَحيحة, توجَدُ آلافُ الطُّرُقِ لِفِعلِ ذلك.

13- خِلالَ الحلمِ الثالِثِ وَالعِشرينَ في تلكَ اللَّيلة؛ قلتُ في نَفسي: إذا كنتُ أستَطيعُ التَّحكُّمَ في أحلامي بِإدراكِ أنَّها أحلام, هل سَأتَمكَّنُ مِنَ التَّحكُّمِ في حياتي بِإدراكِ أنَّها حياة؟

14- أَنا لا أكتَسِبُ عاداتي مِن أَيِّ شخصٍ على الإطلاق؛ أنا أبنيها انطِلاقًا مِن قَراراتي تِجاهِي؛ ومِن قَراراتِ الآخَرينَ تِجاهي.

15- تُساعِدُني آراءُ الآخَرينَ فِيَّ كثيرًا؛ أشياءُ آخذُها بِعينِ الاعتِبار, وأخرى تَجعَلُني مُدرِكةً تمامًا كيفَ ينبَغي أن أتعامَلَ مع ذلكَ الشَّخصِ حينَ أَلتَقِيهِ المرَّةَ القادِمة.

16- أَجنِحَتي بُتِرَت كَعضوٍ تمكَّنَ منهُ السَّرطان, لم يتمكَّن السَّرطانُ مِن أجنِحَتي طبعًا, بَل الأمل؛ لقدْ بُتِرَت لأنَّها بدأَت تَضخُّ إلى جَسَدي الأَمَل.

17- تقريبًا.. اليومُ الأخيرُ يكادُ يكونُ اليَوم.

18- مِنَ الجيِّدِ أن نتعلَّمَ أَحيانًا كيفَ نقولُ "لا".

-4-

شارَفتُ على المَوت

تُرعِبُني فِكرَةُ أنَّني قَد أَموتُ في أَيَّةِ لحظة؛ وأنَّ الأَقرَبينَ سَيَسَوتَني ذاتَ يوم, لكنَّني لَم أَكُن أُدرِكُ مِن قَبلُ أنَّ الخَوفَ مِنَ المَوتِ مَوتٌ في ذاتِه؛ حينَ تَكونُ قادِرًا على الضَّحِكِ والبُكاءِ في آنٍ واحد؛ وحينَ تَشعُرُ أنَّكَ بِحاجةٍ لِشخصٍ يفهَمُكِ دونَ أن تتكلَّم, ربَّما ذلك يعني أنَّكَ قَد بَدَأتَ تموتُ مِنَ الدَّاخِل..

1- شِفاءُ المَوتِ بِأَيدينا؛ كانَ دَومًا عَدَمَ الخَوفِ مِنهُ بِالشَّكلِ الذي نحن عليه, ما هوَ الموت؟: هوَ الانتِقالُ إلى مكانٍ أَفضَلَ بِكثيرٍ مِن هذا المكان, والامتِثال أمامَ رَبٍّ يملِكُ مِنَ الرَّحمَةِ أضعافَ ما يملِكُهُ البَشَرُ مُجتَمِعين, المَوتُ مُستَقبَلٌ مَحتوم؛ يحتاجُ بَعضَ التَّحضير لِاستِقبالِه؛ فَهوَ آتٍ في أَيَّةِ لحظة.

2- كانَت مُنطَوِيَةً كثيرًا؛ لا تَجرُؤُ على إخبارِ أَحدٍ بِمخاوِفِها, تَدَعُ الآخَرينَ يُصدِرونَ القراراتِ بَدَلاً عنها؛ لكنَّها انفجَرَت ذاتَ يوم, أخبَرَتهم أنَّها اكتَفَت مِن كَونِها دميةً يتمُّ التَّحكُّمُ فيها عن بُعد؛ ماذا لَو جرَّبَت دَورَ المَسؤولِ عن قَراراتِه؟ وكانَ ذلكَ أشَدَّ ما يُخيفُهم: أن يَأتِيَ اليومُ الذي تُريدُ فيهِ تَجرِبَةَ الحياة!

3- عَقَصَت شَعرَها إلى الخلفِ وقَصَّتهُ بِقَسوةٍ أمامَ الجَميع؛ أخبَرَتهُم دونَ أن تَقولَ حَرفًا واحِدًا أنَّها قادِرَةٌ على التَّخلّي عن أيِّ شيءٍ مهما كانت أهمِّيَّتُهُ بالنِّسبَةِ لها لمجرَّدِ أنَّهُ يُزعِجُها.

4- السَّماءُ جَميلة, تُشبِهُني حينَ كنتُ على قَيدِ الحياة.

5- اللُّعبَةُ لُعبَتي, أنا مُستعدَّةٌ لِدَفعِ الثَّمَنِ أيًّا كان؛ المهمّ ألاَّ أترُكَ دَوري لِشَخصٍ آخر.

6- اِستَثمِر وَقتَكَ في أَشياءَ تُحِبُّها, تَضييعُ الوَقتِ في هِواياتِكَ يُعَدُّ عِلاجًا نَفسيًّا ناجِعًا جدًّا؛ تعلَّمْ أن تَترُكَ لِنَفسِكَ فُرصةً لِفِعلِ شيءٍ يجعَلُكَ تَشعُرُ بِالرَّاحة؛ حتى لو كانَ ذلكَ الشيءُ تَمزيقَ الوَرَقِ إلى قُصاصاتٍ صَغيرة.

7- على أُهبَةِ الانتِظار؛ أيَّتُها المُعجِزة, أيُّها المُستَحيل؛ هل سَتَأتي؟

8- ربّما أكونُ قادِرَةً على التَّحمُّلِ أكثر, في الحقيقة؛ أنا لستُ قابِلةً لِلتَّمزيق, لا زِلتُ أُومِنُ أنَّ التَّعويضَ آتٍ؛ وأنَّ الأَيَّامَ الصَّعبَةَ مُجرَّدُ تمهيد.

9- يَسوقُها اللهُ بِطريقةٍ لا تتصوَّرُها, يجعَلُها أحلى مِمَّا تُريد؛ مُطابِقَةً لِما يُريد.

10- معنى أن تَنجَحَ حقًّا هو أن تُطحَنَ وَتُمزَّقَ وتتَفَتَّتَ وتسقطَ وتفشَلَ ثمَّ تواصِلَ بِذاتِ الإرادَةِ وعلى وجهِكَ ابتِسامةٌ تقول: أنا بِخير.. ومستعدٌّ لِلمَزيد.

11- غدًا يومٌ أفضَل, ذاتُ العِبارَةِ أكرِّرُها كلَّ يوم, هل تعطَّلَ الزَّمَن؟ أم أنَّ غدًا أبعَدُ مِمَّا تصوَّرت؟

12- "الناسُ يُعجِبُهم هذا", "الناسُ يَكرَهونَ ذاك"؛ "هذا ليسَ لِباسَ موضَة", "إذا رآكِ النَّاسُ بِهذه الثِّيابِ سَتصبِحينَ محلَّ سخرية"؛ ماذا عَن "ما يُعجِبُني أنا", و"ما أكرَهُهُ أنا"؛ و"ما أحبُّ أنا ارتِدائَه"؟ لَيسَ مِن حقّ الناسِ عليَّ أن يتحكَّمَ ذَوقُهُم في طريقَةِ لِبسي؛ لَيسَ ذلكَ مِن حقِّ أحدٍ إطلاقًا, لا أحدَ يُخبِرُني كيفَ يَنبَغي أن أَلبَسَ غير شرعِ الله.

13- لديَّ صَبرُ عجوزٍ يُفَتِّتُ الخُبزَ لِلحمَام على قارِعَةِ الطَّرِيقِ في أُصبوحَةٍ شتويَّة؛ أنا أَحسَنُ مَن يُجيدُ الانتِظار, لا زِلتُ أنتَظِر.

14- سَتَتَذَكَّرُ هذا اليَومَ بعدَ سنوات؛ مهما كانَ صَعبًا, سَتَبتَسِمُ حينَها وعينَاكَ تدمَعانِ وتقول: كانَت أَيَّامًا جميلة.

15- صَوتُ المَطَرِ شِفاء؛ وجهُ البَحرِ دَواء, والنَّومُ نعمةٌ تُنسينا الهمّ.

16- "لا تَزالينَ صغيرة, أنتِ لَم تَرَي شيئًا مِنَ الدُّنياَ بَعد", العبارةُ التي يُكرِّرُها على مَسامِعي كُلُّ عجوزٍ سَطحيّ؛ أنا "صغيرة", لكنَّني رأيتُ مِنَ الدُّنيا ما يَكفيني لِجَمعِ بَعضِ الخبرات, لِأُقبِلَ بِها على الحياةِ القادِمة؛ لم أجرِّب كثيرا, لكنَّني أستعمِلُ تجاربي الماضِيَةَ لِأخوضَ أخرى جديدة.

17- كَم أتمنَّى أَلاَّ أكونَ ضَيفًا ثقيلاً, أو ابنَةً عاقَّة؛ أمًّا مهملة, أو جدَّةً صفيقةَ الوجه, صديقةً ماكِرة؛ أو أختًا ذاتَ كَيد, زوجةً نَكَدِيَّة؛ عمَّةً مَكروهة, أو خالةً بعيدة, لذلكَ أضحَكُ دائِمًا؛ أتقرَّبُ مِنَ الجميع, وأسمَحُ لكلِّ العابِرينَ بِقَطفِ وردة.

18- في الثامِنَةَ عَشرَة, سَيَراكِ العالَمُ على أنَّكِ راشِدة؛ لكنَّكِ لَن تتغيَّري كثيرًا في نَظَرِ نَفسِك, ستتمكَّنينَ مِن أكلِ غزلِ البَناتِ مع إخوَتِكِ؛ واللعبِ معهم على الشَّجرة, تستَطيعينَ أن تَتَشاجَري معهم حينَ يَأخذونَ أشيائَك؛ سَيَظَلُّ بِإمكانِكِ أن تَستَغفِلي صَديقَتَكِ وتَصفَعيها كما تَفعَلينَ دائِمًا, سَتَستَطيعينَ أن تَضحَكي بِصدقٍ وعفويَّة؛ وأن تَرَي الحياةَ بِجَمالِها؛ وأن تَبكي كالأطفال.

-5-

صاحِبَةُ السُّموّ

– مِنَ الصَّعبِ أن تتكلَّم.

حرَّكَت عَقارِبَ السَّاعةِ قليلاً إلى الخلف؛ ابتسمَت وهي تُضيفُ مُخاطِبَةً نُسخَتَها على الكرسيّ:

– ومنَ المُستَحيلِ أن تَعودَ بِالزَّمَن..

ظلَّت الفتاةُ ساكِنَةً لا تتحرَّك, أضافَت صاحِبَةُ السُّموّ:

– لكن, إذا كانَ الرُّجوعُ بالزَّمَنِ مُستحيلاً؛ فتركُ الساعةِ تقضِمُ بعضَ الوقتِ جَريمة, تعلمين.. الأمرُ يُشبِهُ التَّبَرُّعَ بِيَدِكِ أو ساقِكِ؛ الأعضاءُ غالِيَةٌ جدًّا, ولا يَحقُّ لنا التَّبَرُّعُ بها, وكذلك الزَّمن.

أعادَت السَّاعةَ إلى طبيعَتها ثمَّ صفَّقَت؛ سكنَت حَرَكَتُها وانطَلَقَت الفتاةُ الأخرى تتحدَّث:

– لَو لَم أكن نسخةً منكِ لَظَنَنتُكِ مجنونة؛ انظُري إلى نفسِك, أنتِ اثنَتان؛ تَعيشينَ بِكِ, وتَترُكينَ دَورَ الملكةِ لي.

عادَت حركةُ صاحِبَةِ السُّمُوّ تَدريجيًا وقالت:

– حتى لا يَرى الناسُ ضعفي؛ أَلاَ تَرَين؟ أَودَعتُ فيكِ كلَّ قُوَّتي؛ أنتِ قادِرَةٌ على أَلاَّ تبكِي أبدًا, وأنا لا أستطيع.

فتحَت "مُهجة" بابَ الخزانةِ وقالت لِـ "صريم":

– اليومَ سَيَصدُرُ قَرارُ حَظرِ التَّعامُلِ مع تُجَّارِ الوجوه.

– ماذا سَتَلبَسينَ لِهذه المناسَبة؟

تنهَّدَت وألقَت نظرةً على ثِيابِها ثمّ أجابَت:

– ربما هذا.

نظرَت إلى الثَّوبِ الأزرَقِ باشمِئزازٍ وصاحَت:

– المَلِكاتُ يجبُ أن يَرتَدين الشَّائِعَ في مملكاتِهنَّ؛ ماذا سَتَقولُ عنَّا الفَتياتُ حينَ يَرَونَكِ بِهذا اللِّباس؟

– الملكاتُ يجبُ أن يَرتَدينَ ما يَرَينَهُ مناسِبًا لِلِقاءِ الملك الأعلى!

قاطَعَت حديثَهما أعضاء بشريَّةٌ تزحَفُ على الأرض؛ أَيادٍ وأقدام, عُيونٌ ورؤوس وأُنوف؛ أَصابِعُ و أسنانٌ وآذان, اِلتَصَقَت بِالجِدارِ واختَفَت خلفَه؛ وانطلقَت الرِّياحُ تَعوي: "إنَّهم يَسمَعون"؛ "إنَّهم يَرَون", "إنَّهم يترقَّبون"..

– مَن؟

أجابت الرِّيح: الذينَ يُتاجِرونَ بِالكلام.

التَفَتَت مهجة إلى صَريم وقالت:

– علينا حَظرُ التَّعامُلِ مع تجَّارِ الوُجوهِ وتجَّارِ الكلامِ على حدٍّ سَواء.

هزَّت رأسَها نفيًا وهمسَت:

– الآنَ علمتُ ما الذي يَجبُ فِعلُه.

جلسَت مهجة في تحفُّزٍ تستَمِعُ لِكَلماتِ صَريم التي أَضافَت:

– علينا أن نلتَئِمَ مجدَّدًا.

– لماذا؟

– السَّعادَةُ يا مهجة؛ تكمن في أن تكونَ راضِيًا عن كلِّ أجزائِك, بما في ذلكَ المَكسورَةَ مِنها؛ وألاَّ تهتمَّ لِتُجَّارِ الكَلام, ولا لِتُجَّارِ الوجوه؛ فَهم مُجرَّدُ عابِرين.

أخيرا . .

بَلَغتُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ وأنا في صحةٍ وعافِية؛ لديَّ أمٌّ وإخوةٌ رائِعون, ومجموعةٌ لا بأسَ بِها مِنَ التَّجارب؛ اكتَسَبتُ مَبادِئَ رائِعةً سَتُساعِدُني في بِناءِ حياتي التي أنا مُقبِلَةٌ عليها؛ وتخلَّيتُ عَن عاداتٍ سيِّئَةٍ كانت سببًا في حُزني ذاتَ يَوم.

لديَّ صَديقَتانِ تهتَمَّانِ لِأَمري؛ تَجعَلانِني أضحكُ حينَ تَرَيانِني حزينة, وأكونُ معهما على سجيَّتي؛ أجدُهما كتفًا يسندُني حينَ أكادُ أسقط, وحضنًا يحتَويني حينَ أبكي؛ وَقَد خُضتُ معهما الكثيرَ مِنَ التَّجارب, وعِشتُ لحظاتِ جنونٍ لَم أكُنْ لِأَعيشَها لَولاهما؛ ولم أكُنْ لِأَتَصوَّرَ يومًا حياتي بِدونِهما.

لديَّ أمٌّ تحزَنُ لِحزني؛ أمٌّ مستعدَّةٌ لِتحمُّلِ الكثيرِ مِن أجلي, ولِسَماعي حتى الرَّمَقِ الأخير؛ لم تتذمَّر يومًا مِن ثَرثَرَتي؛ وشعرتُ دومًا أنَّها صديقةٌ رائِعة, جعلَتني أُدرِكُ أنَّ الخيرَ لَيسَ له مُقابل؛ وأنَّ الحبَّ أحيانًا ليس حضنًا بَل مَوقِفًا.

لديَّ صديقةٌ لَم أَرَها قَطّ, لكنَّني تعلَّمتُ منها أنَّ العالَمَ كُلَّه مَوطِنٌ لنا.

أنا الآن في الثَّامِنَةَ عَشرة, لا زِلتُ أحبُّ الحلوى؛ والكتب, والقهوة؛ والقِيامَ بِأشياء جديدة قد تكونُ غيرَ معقولة, لا زِلتُ أَعشَقُ الرَّكضَ في المساحاتِ الفارِغة؛ والجُلوسَ على العشب, وابتِلاعَ الهواءِ الذي يَدخُلُ فَمي حينَ أُخرِجُ رَأسي مِن نافِذَةِ السَّيَّارة.

الحياةُ جميلة؛ والمَصاعِبُ تجعَلُها ذاتَ قيمة, وإلى حينِ يَأتي المَوت؛ هناكَ دَومًا حياة, نستَطيعُ أن نَبدأها مِن جديدٍ كُلَّ يوم.

-تـمَّت-

12 أكـتوبـر 2021